مدينة سرقسطة الأندلسية وآثارها الإسلامية

أ.د. ماهر صبري كاظم

كلية الآداب/الجامعة المستنصرية

الكلمات المفتاحية: العصور الوسطى، الاندلس، سرقسطة، الاثار الاسلامية.

المستخلص:

ان التاريخ الاسلامي فيه الكثير من الاحداث والوقائع التي حدثت في زمن العصور الوسطى، منها التاريخ الاندلسي (اسبانيا والبرتغال حالياً) حيث استمر المسلمون يحكمون تلك المناطق لمدة ثمانية قرون تخللتها عصور ومراحل بين القوة والضعف وبين الازدهار والانحدار، وكما هو معروف ان الاندلس فيها الكثير من المدن الاسلامية منها سرقسطة، لذا اراد الباحث تسليط الضوء على هذة المدينة الاسلامية لاهميتها التاريخية والجغرافية واثارها الباقية حتى الوقت الحالي مثل قصر الجعفرية لاهمية الكبيرة في الدراسات الاثرية، ان تلك المدينة التي تقع في شمال شرق الاندلس بالقرب من مدينة برشلونة، ولا زالت تلك المدينة تحضى بأهتمام كبير بين المؤرخين المسلمين والمستشرقيين.

لقد قسم الباحث الموضوع الى اربع مباحث مبتدأً بالمبحث الاول: الفتح الاسلامي للاندلس حتى السقوط، الذي وضح فيه الباحث معنى كلمة الاندلس ومختصر لعملية الفتح الاسلامي للاندلس منذو عام 92هـ/711م مع ذكر العصور التاريخية الولاة والامارة والخلافة والدولة العامرية والفتنة البربرية وعصر الطوائف ثم نهاية الاندلس

متمثله بعصر سلطنة غرناطة حتى السقوط في عام 897هـ/1492م بشكل موجز. في حين كان المبحث الثاني بعنوان: مدينة سرقسطة وموقعها الجغرافي، موضحاً فيه جغرافية المدينة وطبيعتها مع ذكر اشهر المؤرخين في وصف تلك المدينة التاريخية في العصر الاسلامي، حيث كان لهذة المدينة اهمية كبيرة لما تتمتع به من موقع جغرافي مهم فضلاً عن الاهمية الاقتصادية لهذة المدينة لما تتمتع به من الانتاج الزراعي. اما المبحث الثالث جاء بعنوان: تاريخ مدينة سرقسطة في العصر الاسلامي، حيث تناول فيه الباحث تاريخ المدينة السياسي منذو الفتح الاسلامي لها حتى سقوطها وخروج المسلمين منها حيث ركز الباحث على الاحداث السياسية التي شهدتها المدينة واثرها في تغير مسار الاحداث خلال العصور المختلفة. اما المبحث الرابع والاخير بعنوان: اثار مدينة سرقسطة الاسلامية، واهم تلك الاثار هناك هو قصر الجعفرية حيث وصف الباحث ذلك الاثر وصفاً دقيقاً من حيث المساحة والجدران والنقوشات الاسلامية التي تؤكد على ان تلك الاثار قد شيدها المسلمين في تلك الحقبة المهمة في التاريخ الاسلامي، وقد اعتمد الباحث على عدد من المصادر الاصيلة والمراجع الحديثة.

المقدمة:

أن في تاريخ الأندلس الكثير من الأحداث والوقائع التاريخية التي لا زال البعض منها تحتاج إلى البحث والتقصي لأهميتها في التاريخ الإسلامي، ومنها مدينة سرقسطة لأهميتها التاريخية والجغرافية وما فيها من آثار إسلامية لا زالت باقية حتى الوقت الحاضر، لذا أراد الباحث الكشف عن تلك المدينة الأندلسية التي تقع شمال شرق الأندلس بالقرب من مدينة برشلونة (في اسبانيا حالياً)، ومن الأسباب التي دعت الباحث للمضي فيه هو المعلم الأثري المتمثل بقصر الجعفرية لأهميته الكبيرة في الدراسات التاريخية والأثرية.

لقد قسم الباحث ذلك الموضوع إلى أربع مواضيع رئيسية، مبتدأً باولاً: الأندلس من الفتح الإسلامي حتى السقوط، حيث وضح فيه الباحث معنى كلمة الأندلس ومختصر تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي منذ عام(92هـ/711م) حتى السقوط ونهاية الأندلس في عام (897هـ/1492م) بشكل موجز.

في حين كان الموضوع الثاني بعنوان: مدينة سرقسطة وموقعها الجغرافي، موضحاً فيها جغرافية المدينة وطبيعتها مع ذكر أشهر المؤرخين في وصف تلك المدينة التاريخية في العصر الإسلامي.

أما الفقرة الثالثة جاء بعنوان: تاريخ مدينة سرقسطة في العصر الإسلامي، حيث تناول فيه الباحث تاريخ المدينة السياسي منذ الفتح الإسلامي لها مروراً بعصر الولاة والامارة والخلافة والطوائف حتى سقوطها وخروج المسلمين منها في عام (512هـ/1118م). أما الرابع والأخير بعنوان: آثار مدينة سرقسطة الإسلامية، والمتمثلة بقصر الجعفرية حيث وصف الباحث ذلك الأثر وصفاً دقيقاً من قبل المؤرخين معاصرون.

لقد اعتمد الباحث على عدد من المصادر الاصيلة منها: كتاب التاريخ للسلمي الأندلسي (ت:238هـ/852م)، وكتاب: صفة جزيرة الأندلس للحميري (ت:710هـ/1310م)، وكتاب: البيان المغرب لابن عذاري (ت: بعد عام 712هـ/1312م)، وغيرها. في حين اعتمد الباحث على الكثير من المراجع الحديثة أهمها كتاب: تاريخ بلد الأندلس للعامري، وكتاب: الآثار الأندلسية وكتاب: نهاية الأندلس لعنان، وكتاب: التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة للحجي، وغيرها من الكتب التي وظفها الباحث واستفادة منها في توثيق الأحداث التاريخية.

اولاً: الأندلس من الفتح الإسلامي حتى السقوط

تعرف الأندلس بشبه الجزيرة الأيبيرية والتي تقع في جنوب غرب أوربا وتحيط بها المياه من الغرب جهة المحيط الأطلسي ومن الشرق والجنوب جهة البحر المتوسط، وأن أصل مصطلح الأندلسي مأخوذ من قبائل الوندال باسم فاندلسيا ونطقت بالعربية بالاندلس[1].

كان فتح المسلمين للأندلس في عام (92هـ/711م) على يد طارق بن زياد وموسى بن نصير حيث استمر الفتح لثلاث سنوات حتى عام (95هـ/714م) بوصولهم إلى منطقة الصخرة بعد أن فتحوا كل المناطق الشمالية للأندلس حتى جبال البرت الحدودية مع فرنسا، وعليه خضعت الجزيرة الايبيرية للمسلمين خلال هذة المدة اليسيرة وقد اوقفهم امر الخليفة الاموي في ذلك الوقت خشية على جيش المسلمين من الدخول في تلك المناطق النائية والبعيدة عن مركز الامدادات[2].

بعدها جاء عصر الولاة الذي اتسم بالتعايش السلمي والانفتاح الاجتماعي مع أهل البلاد المفتوحة، ولم يحاولوا المسلمين التقدم في المناطق الشمالية البعيدة بعد خسارتهم في معركة بلاط الشهداء في عام (114هـ/732م)، الا ان ما يميز ذلك العصر هو انتشار الدين الاسلامي واللغة العربية وتقسيم الاندلس الى خمس ولايات والنزاع

القبلي على السلطة خاصة بين العرب والبربر وفي نفس الوقت ازدادت عمليات الفتح الاسلامي بتنظيم الحملات العسكرية التي عرفت بالصوائف والشواتي لمواجهة نواة الممالك المسيحية داخل حدود الدولة التي كانت تهدد الاندلس بين الحين والاخر لتوطيد دعائم الحكم الاسلامي في الاندلس[3].

بعدها تولى صقر قريش المعروف بعبد الرحمن الداخل حكم الأندلس حيث بدأ عصر جديد عرف بـ الإمارة في عام (138هـ/755م) بعد أن سقطت الدولة الأموية في دمشق وإعادة صيتها من جديد في الأندلس، حيث ظهرت الكثير من الاضطرابات والثورات في المدن الاندلسية التي تم اخمادها من قبل الدولة الاموية في الاندلس فضلاً عن الصراع مع الممالك الاسبانية الا ان ذلك لم يمنع من انشاء المدن والمساجد وبناء المدارس وانتشار التعليم واتساع التبادل الثقافي بين الاندلس والمشرق الاسلامي والتي استمرت حتى عام (316هـ/929م) عندما أعلن عبد الرحمن الناصر الخلافة الأندلسية التي اتسمت بالاصلاحات العسكرية والعمرانية وبناء المدن الجديدة ونشر العلم بتشجيع العلماء والمفكرين واقامة علاقات دبلماسية مع جميع البلدان المجاورة، وبذلك كانت ثلاث خلافات في العالم الإسلامي وهي الخلافة العباسية في بغداد والخلافة الفاطمية في الشمال الأفريقي والخلافة الأموية في قرطبة، ويعتبر ذلك العصر بالعصر الذهبي خلال حكم المسلمين للأندلس لما سادت من القوة والازدهار السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعلمي، وهذا لم يمنع من وجود عيوب في الحكم الإسلامي آن ذاك هو نظام الوراثة من الأب إلى الابن أو من الابن إلى الأخوة مما أدى إلى وجود شخصيات هزيلة وغير قادرة على إدارة البلاد كما حصل في نهاية عصر الخلافة[4].

فقد حدث فراغاً سياسياً في الحكم عندما تولى إدارة البلاد صبي صغير السن الملقب بـ(هشام المؤيد بالله) في عام (366هـ/976م) مما أدى إلى ظهور منصب منافس للخلافة وهو الحجابة، وبذلك تشكلت دولة داخل دولة ويقصد بها الدولة العامرية داخل الخلافة الأندلسية فكان الذي يتحكم بأمور البلاد هم الحجاب، وسميت بالعامرية نسبةً من تولها من بني عامر وبذلك انتقل الحكم من الأسرة الأموية إلى الأسرة العامرية بشكل غير مباشر، وعلى الرغم من الانتصارات التي تحققت على الممالك الشمالية الاسبانية والازدهار الاقتصادي في البلاد وبناء مدن جديدة الا ان كل تلك الانجازات لم تشفع من سقوط الخلافة الأندلسية في عام (399هـ/1009م) بعد ان تولى اخر الحجاب المعروف بـ(شنجول) الذي وصف بالضعف والغرور مما قام به

من اعمال بالسيطرة الفعلية على الخلافة نفسها واحدث تغيراً سياسياً جديداً بأن يكون ولي العهد بعد الخليفة وعلى اثر هذة الاحداث ضعفت وتدهورت احوال الخلافة الاندلسية فاصبحت الاندلس في ضعف وفوضى[5].

أدى سقوط الخلافة بالصراع الأموي على الحكم مما أدى صراع داخلي وعرفت هذه المرحلة بالفتنة الكبرى في عام (422هـ/1301م) فانقسمت الأندلس إلى عدة طوائف ومدن على أساس زعيم القبيلة الذي يتولى حكم المدينة مما عرف حكامها بملوك الطوائف موزعين على اثنتين وعشرين دويلة مما تسبب بأنهيار الوحدة الوطنية وضعف الأندلس بسبب تنافس ملوك الطوائف على المدن الاندلسية مما ادى الى تقربهم الى زعماء الممالك الاسبانية والتودد اليهم لمساعدتهم في قتال بعضهم على بعض من خلال عقد التحالفات والاتفاقيات المشتركة لاهتمامهم بالمصالح الفردية على حساب مصالح العامة في الاندلس، فجعل ذلك أهل المغرب من المرابطين وثم الموحدين للتدخل في الأندلس خاصةً العسكري لصد هجوم الممالك المسيحية على الأندلس[6].

على الرغم من كل ما قام به أهل المغرب تجاه الأندلس إلا أن ذلك لم يمنع من قيام الممالك الإسبانية مثل قشتالة وارغون بالاتحاد والوحدة المتبادلة من خلال الزواج الملكي وقيادة حملة الاسترداد من المسلمين والاستحواذ على كل المدن الأندلسية آخرها سلطنة غرناطة جنوب الأندلس في عام (897هـ/1492م) وهو نهاية حكم المسلمين للأندلس[7].

ثانياً: مدينة سرقسطة وموقعها الجغرافي:

تعتد مدينة سرقسطة عاصمة إقليم أرغون، فقد سميت قديماً قبل الفتح الإسلامي باسم أحد قادة الرومان الذين كانوا مسيطرين على تلك المناطق قبل الميلاد والتي تعرف بـ(قيصر) وهي الإشارة إلى قائدهم (قيصر أغسطس)، وعندما فتح المسلمون شبه الجزيرة الأيبيرية عربَّ المسلمون هذا الاسم بـ(سرقسطة) مثلما قاموا بتعريب الكثير من أسماء المدن[8].

وقد أكد ذلك الحميري بوصف تلك المدينة بقوله: "... وذكر أنها بنت على مثل الصليب وجعل لها أربعة أبواب: باب إذا طلعت الشمس من أقصى المطلع في القيظ قابلتهُ عند بزوغها، فإذا غربت قابلت الباب الذي بإزائه من الجانب الغربي، وباب إذا

طلعت الشمس من أقصى مطلعها في الشتاء قابلته عند بزوغها وهو الباب القبلي، وإذا غربت قابلت الباب الذي بإزائه من الجانب الغربي"[9].

تقع مدينة سرقسطة بالنسبة للأندلس في الشمال الشرقي على الضفة اليمنى من نهر وادي (إيبرو)، ويمثل موقع سرقسطة الحدود الشمالية لذا عرفت بتسميته بـ الثغر الأعلى، وسميت أيضاً بالمدينة البيضاء لعدة أسباب منها دخول المسلمين إليها بدون إراقة دماء لذا عرفت المدينة بالمسالمة، وهنالك رأي آخر بأن المدينة مبنية من الجص والمرمر والصخور البيضاء، وقد عرفت أراضي مدينة سرقسطة بأنها جبلية، فأن سطح الأعلى في حوض نهر (إيبرو) منخفض يفصل عن بلاد فرنسا بجبال البرتات[10].

فقد أكد المؤرخ عنان بأن هذا النهر ليس واسع العرض وأقيمت عليه قنطرة رومانية عربية الطراز، ذلك النهر يشبه بنهر الوادي الكبير في مدينة قرطبة من حيث الموقع[11].

ومن المؤرخين الجغرافيين الذين ذكروها هو ابن حوقل باسم (سرقصه) عندما كان يوصف الأندلس بقوله: "... وشمالها فمن شنترة ذاهباً على نواحي سموره وليون ويونه من بلاد جليفية إلى أقاصي بلد جليقية، ومشرقها فمن مشارق جليقية إلى الخليج المغربي على نواحي سرقصه وضواحي وشقه وطرطوشة وجميع بلاد الفرنجة من جهة البر..."[12]. وعرفت المدينة باسم سرقسطة من البلدان المشهورة في الأندلس بفتحتين وقاف مضمونة وسين مهملة ساكنة[13].

أما في الشمال فهنالك أنهر تصب وتجتمع في نهر (إيبرو)، وجميع هذه الأنهار لها حصون وكورة متصلة عامرة من كل جانب، فقد وصفت بكثرة خيراتها من الفاكهة والأطعمة وقد شاع ذكرها في كل الأندلس[14].

فقد عرفت سرقسطة بحصاتها وتنوع منتوجاتها الزراعية كما وصفها المقري بقوله: "...أن مدينة سرقسطة لا يدخلها الثعبان من قبل نفسه، وإذا أدخله أحد لم يتحرك ونظير هذا المعنى في بعض الحيوانات بالنسبة إلى بعض البلاد كثير..."[15].

ثالثاً: تاريخ مدينة سرقسطة في العصر الإسلامي

بعد أن تمكن المسلمون من فتح الأندلس في الوسط والجنوب ساروا نحو الشمال لإكمال الفتح، ثم تجمعوا جنوب مدينة سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى ودخلها الجيش الإسلامي في عام (94هـ/712م) دون قتال، وبعد أن أستقر المسلمون فيها قام (حنش بن

عبد الله الصنعاني) وهو أحد قادة الجيش الإسلامي ببناء مسجد للمسلمين، بعدها أصبحت المدينة قاعدة عسكرية إسلامية لفتح بقية المدن خلال عصر الولاة، لذا كانت للمدينة أهمية كبيرة من حيث الحملات والفتوحات الإسلامية وفي نفس الوقت التصدي والدفاع من قوات القوط الغربية بدعم الممالك الشمالية المسيحية[16].

أما في عصر الولاة فقد كانت مدينة سرقسطة تابعة للحكم الإسلامي في ذلك العصر[17]، فقد تميزت المدينة بأن سكانها من القبائل العربية وتحديداً اليمنية مما جعل ولاة الأندلس متعصبين ضدهم، وعند آخر والي أندلسي (يوسف الفهري) أصيبت الأندلس بالمجاعة، غير أن مدينة سرقسطة لم تتأثر بالأزمة الاقتصادية لكثرة خيراتها واهتمام أهلها بالزراعة[18]. وعندما انتهى عصر الولاة ظهر عصر الإمارة ذات حقبة تاريخية طويلة مرت على مدينة سرقسطة[19]، وقد ظهرت خلال هذا العصر حركات التمرد والعصيان لبعد مدينة سرقسطة عن عاصمة الأندلس قرطبة فقد أثر سلباً على حاكم سرقسطة (الحسين بن يحيى الأنصاري) وعاونه على ذلك حاكم برشلونة (سليمان بن يقظان الأعرابي) وتحالفاً معاً على خلع عبد الرحمن الداخل الذي أرسل إليهم جيشاً في عام (158هـ/775م) الذي انكسر وأسر قائد الجيش بدعم من ملك فرنسا تحديداً القائد(شارلمان) للسيطرة على الأندلس وتسليم الولايات الشمالية ومنها سرقسطة إلى حاكم برشلونة للتخلص من زعيم الأمويين عبد الرحمن الداخل بالتحالف مع الخليفة العباسي (المهدي)، إلا أن انعدام التنسيق بين أطرف هذه المؤامرة فضلاً عن وجود المؤيدين للحكم الأموي بين صفوف جيش المسلمين أدى إلى انقلاب الجيش على التحالف فاعتقد شارلمان بأن هنالك خيانة ضده، مما ادى الى قتل سليمان الأعرابي في عام (165هـ/781م)، وانسحب شارلمان من الأندلس بل اضطر إلى مهادنة عبد الرحمن الداخل بعد تكبد جيشه خسائر كبيرة[20].

فقد ظهرت في مدينة سرقسطة أسر سيطرت على المدينة، ففي بعض الأحيان كانت قاعدة للثوار على حكومة قرطبة مستغلة أوضاع الأندلس المضطربة وفي نفس الوقت ظهرت أسر بولائها للحكم الأموي في الأندلس مثل أسرة (بني قسي)[21].

لقد شهدت مدينة سرقسطة الأندلسية بالاستقرار في عصر الخلافة في كل النواحي السياسية والعسكرية والاجتماعية والعلمية وذلك لما تتمتع بها عاصمة الأندلس قرطبة من أهمية كبيرة خلال العصور الوسطى[22].

وقد ذكر ذلك ابن السماك الغرناطي عن أهمية مدينة سرقسطة في عصر الخلافة بقوله: "الأمور التي كانت تحار فيها خلفاء بني أمية بالأندلس لا ينقذونها إلا عن مشارة ثلاثة من الناس، وهم: قائد الجند بسرقسطة قاعدة الثغر الأعلى لعظم ذلك الموضع وكونه الثغر ومحل الدفاع عن الأندلس..."[23].

على الرغم من الاستقرار السياسي في عصر الخلافة إلا أن مدينة سرقسطة لم تسلم من هجمات الممالك الإسبانية عليها لموقعها الجغرافي المحاذي لتلك الممالك في الشمال حيث كانوا يغيرون على هذه المدينة بين الحين والآخر[24].

توالت الأسر العربية على الحكم منها أسرة (بني تجيب) التي استمرت حتى وقوع الفتنة وقيام دول الطوائف ثم انتقل الأمر إلى أسرة بني هود على يد زعيمهم (ابن هود/ سليمان الجذامي) الملقب بالمستعين وقبل وفاته في عام (438هـ/1046م) قسمه مملكة سرقسطة على أبناءه الخمسة مما أدى إلى صراع بين الأخوة أشهرهم (أبو جعفر أحمد الملقب بالمقتدر بالله) الذي حكم المملكة خمس وثلاثون سنة بالقوة، فقد وسع نفوذه على الأراضي والمدن التي كانت بحوزة أخوته ولم يكتفي بذلك بل قام بسجن أخوته، وكان المنافس الوحيد له أخيه (يوسف الملقب بالمظفر) واستمر العداء بين الأخوين[25].

نتيجة ضعف ملوك الطوائف ازدادت قوة الممالك المسيحية مما أدى إلى وقوع حادثة بربشتر في عام (456هـ/1064م) حيث تقع هذه المدينة ضمن حدود مملكة سرقسطة في شرقها وهي من أمنع وذات حصانة للقواعد الإسلامية الشمالية، وخلاصة هذه الحادثة بأنتصار النورمانديين على المسلمين بعد حصار طويل مما أدى إلى سقوط المدينة وقاموا بأعمال منافية للأنسانية من خلال استباحة المدينة بكل ما فيها من نساء ورجال وأطفال وحتى الشيوخ حيث قاموا بجرائم القتل وانتهاك حرمات المسلمين في المدينة بعد أن إعطائهم الأمان[26].

في عام (475هـ/1081م) توفي المقتدر بالله مما ورث الأبناء مملكة سرقسطة وجرت بين الأخوة العداء والحروب للسيطرة على المدينة واستعان كل منهما على الآخر بملوك النصرانية والممالك الإسبانية مقابل الأموال والتنازل عن الحصون[27]. فقد قادة الممالك الإسبانية حملة حصار للاستيلاء على مدينة سرقسطة إلا أن دخول المرابطين أوقف سقوط المدينة خاصة بعد انتصار المسلمين في معركة الزلاقة عام (479هـ/1086م)[28].

إلا أن ذلك لم يمنع من سقوط مدينة سرقسطة بيد الممالك الإسبانية في عام (512هـ/1118م) بعد حصار طويل لمدة تسعة أشهر وبمساعدة ممالك مسيحية أوربية بقيادة (الفانسو المحارب) مما أدى إلى استسلام المدينة وهجرها معظم أهلها بعد أن أجريت المفاوضات للاستسلام[29].

رابعاً: آثار مدينة سرقسطة الإسلامية:

إن في مدينة سرقسطة الأندلسية من أهم الآثار الإسلامية الباقية حتى الوقت الحاضر حيث يقصد المدينة الكثير من السياح من مختلف الدول لمشاهدة هذه المدينة التاريخية بكل تفاصيلها خاصة الممالك الإسبانية والعمارة الإسلامية والنقوش العربية التي اشتهرت بها في زمن القرون الوسطى، التي لم تعد تلك الآثار بارزة إذا ما قارنها بمدن أندلسية أخرى مثل: قرطبة واشبيلية.

قصر الجعفرية:

يسمى باللغة الإسبانية (Palacio Ajaferia)، يقع في شرق مدينة سرقسطة على مقربة من الضفة اليمنى لنهر إيبرو، ويعود بناءه إلى الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، يوجد داخل هذا القصر بقايا المسجد ما زالت قائمة في داخله على الرغم من التغيرات والإضافات التي قامت بها الملوك المسيحيين، فالناظر إليه يجد فيه من أجزائه المختلفة عصور مختلفة أيضاً نتيجة الاضافات التي اضيفت اله عبر العصور التاريخية المختلفة[30].

لقد أنشأ هذا القصر في زمن عصر الطوائف وتحديداً ملك سرقسطة هو (أبو جعفر المقتدر) الذي أمر ببناء القصر في عام (439هـ/1047م) حيث سمي القصر بالجعفرية نسبة إلى كنية حاكمها (أبو جعفر)[31]. يتألف القصر من سور مستطيل يدعمه تسعة عشر برجاً شكلها اسطواني وفي وسط هذا البناء صحن مستطيل وتطل على جانبيه مجموعتان من الغرف كل منها تحتوي على قاعة في الوسط وغرفتين جانبيتين[32].

إن أهم جزء في هذا القصر هو جناحه الأيسر وهو القصر الملكي الذي أدخلت فيه على بعض أجزاءه من بقايا القصر الأندلسي، وقد اشتهر في تاريخ الفن الإسلامي بـ"دار السرور" وأجمل ما فيه هو بهوه الرائع حيث زينت جدرانه بالنقوش الذهبية والذي كان يعرف بمجلس الذهب[33]، وإلى جانبها تقع غرفتان أحداهما هو المسجد وكانت هذه القاعة تتصل جنوباً بالصحن وفي الجهة المقابلة قاعة الرخام وسميت بذلك لكثرة

أعمدتها الرخامية ويتمثل بها الفن الأندلسي بالزخرفة والتجشيرات المتداخلة. أما المصلى فبابهُ مدجن ويشغل المحراب الركن الجنوبي الشرقي وتعلوه قبة مفصصة قوقعية الشكل ويزين الجدران السبعة الأخرى عقد أهم التعقيد من النوع الذي يختلط فيه الخطوط والمنحنيات، وتحمل هذه العقود أعمدة ملتصقة بالجدران[34].

وعندما سقطت مدينة سرقسطة بيد الاسبان في عام (512هـ/1118م) حتى تحول القصر إلى دير ثم إلى حصن واستقر فيه ملوك الاسبان ثم أضيف عليه الكثير من الإضافات بتسلسل الحكام ففي عهد الملكين الكاثوليكيين فرناندو وأزبيلا أضيف إليه قاعة العرش في عام 1492م، في عهد أيزابيلا الثانية تحول إلى معسكر في عام (1866م) وجردت منه الزخارفه الإسلامية، ولم يسلم من هذا التشويه للعمارة الإسلامية سوى المصلى القائم بزخارفه[35].

توجد في سرقسطة بعض الآثار الاندلسية الباقية مثل (العقد العميد) وهو عبارة عن أربعة عقود ضخمة متوالية يفصل كل واحدة عن الأخرى خمسة أمتار، وقد أنشأ فوقه مبنى عتيق، يقع في حي الكنائس على مقربة من كنيسة (لاسيو)، وهنالك بعض الآثار المتفرقة ذات الدلالات الإسلامية التابعة لمدينة سرقسطة في المتاحف مثل في متحف مدينة سرقسطة و متحف مدريد (عاصمة اسبانيا حالياً)[36].

الخاتمة:

إن لمدينة سرقسطة أهمية كبيرة في الدراسات التاريخية منذ الفتح الإسلامي حتى خروج المسلمين منها، فقد توالت على المدينة الكثير من العصور الإسلامية مثل الولاة والإمارة والخلافة وعصر الطوائف، وتعتبر مدينة سرقسطة واحدة من المدن الاندلسية عانت الصدامات بين المسلمين والممالك الشمالية المسيحية وأشهرها واقعة بربشتر التي راح ضحيتها المسلمين العزل تجاه التعصب الديني من قبل النورمانديين.

حيث امتاز عصر الفتح للمدينة بدخول المسلمين إليها دون قتال ولم تشهد فيها أي معركة لذا سميت المدينة بالمدينة البيضاء، لكنها أصبحت قاعدة عسكرية لفتح بقية الأراضي الشمالية. فقد شهدت المدينة استقرار المسلمين فيها خاصةً من العرب ذات القبائل اليمانية، غير أن المدينة لم تستقر في عصر الإمارة لوجود التجاذبات السياسية والاتفاقيات الفردية، غير أن قوة حكام عصر الخلافة جعلت الاستقرار أكثر من السابق، إلا أن ذلك لم يمنع من العصيان في بعض الأوقات على حكام قرطبة خاصة عندما يضعف حكامها.

أما في عصر الطوائف فقد عانت المدينة وبقية مدن الأندلس من صراع ملوك الطوائف على الهيمنة والنفوذ على الأراضي خاصة الصراع بين الأخوة وطلب المعونة من ممالك الاسبانية للدخول في الصراع طرف على حساب الطرف الأخر من المسلمين.

استغلت الممالك الاسبانية ضعف ملوك الطوائف بحصار على مدينة سرقسطة مما أدى إلى دخول المرابطين للأندلس وانتصارهم في معركة الزلاقة في عام (479هـ/1086م) إلا أن ذلك لم يمنع من سقوط المدينة بعد حصار طويل في عام (512هـ/1118م) من السقوط بيد الاسبان من خلال حركة الاسترداد بمباركة الممالك المسيحيه الشمالية.

إن أهم آثار مدينة سرقسطة هو قصر الجعفرية الذي أنشأ في القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي الذي يعتبر تحفة فنية معمارية الذي يعبر عن حقبة تاريخية مهمة في التاريخ الأندلسي.

لقد شهد القصر الكثير من التغيرات المعمارية عليه من حكام اسبانيا، بإدخال الإضافات والرسوم والشعارات إلا أن ذلك لم يؤثر على توافد السياح إلى هذا المعلم ذات الآثار الاندلسية الإسلامية حتى الوقت الحاضر. فهنالك الكثير من الدراسات الحديثة سواء كان باللغة الاسبانية او اللغة الانكليزية حول ذلك الموضوع مما يحتاج الى جهد مضعاف لاستخراج المعلومات وتطابقها واستنتاجها من قبل الباحثين المختصين ومن ثم عرضها للقراء بشكل افضل، مما يفتح المجال في الخوض مثل هذة المواضيع في المستقبل.

الهوامش:

(1) ابن حوقل، أبي القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي (ت:367هـ/977م)، صورة الأرض، ط2، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1939م، ص108-111؛ الحميري، أبي عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم (ت:710هـ/1310م)، صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: لا في بروفنسال، ط2، دار الجيل، بيروت- لبنان، 1988، ص1-8.

(2) السلمي الأندلسي، عبد الملك بن حبيب (ت:238هـ/852م)، كتاب التاريخ، تحقيق: سالم مصطفى البدري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1999م، ص124-132.

(3) ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد (ت:808هـ/1405م)، تاريخ ابن خلدون المسمى العبر وديوان المبتدأ في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، تحقيق: عادل بن سعد، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2010م، ج2، ص119.

(4) ابن عذاري، أبو عبد الله أحمد بن محمد المراكشي (ت: بعد سنة 712هـ/1312م)، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق: ج.س. كولان ولفي برفنسال، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2009م، ج2، ص150 و151؛ العامري، محمد بشير حسن، تاريخ بلد الأندلس في العصر الإسلامي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2014م، ص81-84.

(5) ابن حيان القرطبي، أبي حيان مروان بن خلف، (ت:469هـ/1076م)، المقتبس في أخبار بلد الأندلس، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط1، شركة أبناء الشريف الأنصاري، بيروت- لبنان، 2006م، ص16-26؛ ابن بسام، أبي الحسن علي الشتتريني، (ت:542هـ/1147م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2012م، م4، ص35-45؛ نصر الله، سعدون، تاريخ العرب السياسي في الأندلس، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 1998م، ص397-426.

(6) المراكشي، عبد الواحد بن علي (ت:647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق: خليل عمران المنصور، ط2، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2005م، ص65-71؛ السامرائي، خليل إبراهيم وآخرون، تاريخ العرب وحضارتهم في الأندلس، بيروت- لبنان، 2004م، ص224-248.

(7) ابن الخطيب الغرناطي، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق: يوسف علي طويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م، ج2، ص43-92؛ مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني النصر، تحقيق: محمد رضوان الداية، ط2، دار الفكر، دمشق – سوريا، 2000م، ص40-49؛ عنان، محمد عبد الله، نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين، ط1، مطبعة مصر، القاهرة- مصر، 1949م، ص70-161.

(8) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص96؛ الحجي، عبد الرحمن علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم، دمشق- سوريا، 2008م، ص384.

(9) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص96 و97.

(10) ينظر: البكري، أبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد (ت:487هـ/1094م)، المسالك والممالك، تحقيق: جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م، ج2، ص379؛ الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص96؛ شنجار، عبد الرحمن رشك، رحلة أبي حامد الغرناطي وأوربا في العصور الوسطى، مركز البحوث والدراسات- الوقف السني، بغداد- العراق، 2008م، ص35 و36.

(11) الآثار الأندلسية الباقية في إسبانيا والبرتغال- دراسة تاريخية أثرية، ط2، مطبعة المدني، القاهرة- مصر، 1997م، 1997م، ص104.

(12) أبو القاسم محمد بن علي الموصلي النصيبي (ت: 367هـ/977م)، كتاب صورة الأرض، بلا ط، مطبعة بريل، مدينة ليدن، 1928م، ص109.

(13) مؤلف مجهول، الأندلس وما فيها من البلاد، تحقيق: خليل خلف الجبوري، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2015م، ص35.

(14) الرشاطي، أبو محمد (ت: 542هـ/1147م) وابن الخراط الأشبيلي (ت: 581هـ/1186م)، الأندلس في اقتباسات الأنوار وفي اختصار اقتباس الأنوار، تحقيق: أميليو موليا و خثينتو بوسك بيلا، بلا ط، المجلس الأعلى للأبحاث العلمية، مدريد، 1990م، ص80.

(15) أحمد بن محمد التلمساني (ت:1041هـ/1631م)، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تحقيق: مريم قاسم الطويل ويوسف علي الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 1995م، د1، ص191.

(16) ابن القوطية، أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز (ت:367هـ/977م)، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق: إبراهيم الأبياري، ط2، دار الكتب المصري واللبناني، القاهرة- بيروت، 1989م، ص30-38؛ الحميري، أبي عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح (ت:488هـ/1095م)، جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس وأسماء رواة الحديث وأهل الفقه والأدب وذوي النباهة والشعر، تحقيق: صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، 2004م، ص198-199؛ الحجي، التاريخ الأندلسي، ص91-93.

(17) السلمي الأندلسي، كتاب التاريخ، ص135-136.

(18) مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص65-69؛ ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص26-39؛ مؤنس، حسين، فجر الأندلس، ط1، دار المناهل للطباعة، بيروت- لبنان، 2002م، ص185-199.

(19) ابن خلدون، العبر، ج4، ص120.

(20) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص52-58؛ مؤلف مجهول، فتح الأندلس، ص99-108؛ مصطفى، الأندلس في التاريخ، ص30 و31.

(21) ينظر: ابن حزم، أبي محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت: 456هـ/1063م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق: عبد المنعم خليل إبراهيم، ط7، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2018م، ص499-502.

(22) ابن عذاري، البيان المغرب، ج2، ص159-169؛ ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الاعلام، ج2، ص31-39.

(23) أبي القاسم محمد بن أبي العلاء محمد المالقي (عاش النصف الثاني من القرن الثامن الهجري/ الرابع عشر الميلادي)، الزهرات المنثورة في نكث الأخبار المأثورة، تحقيق: محمود علي مكي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2004م، ص128.

(24) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، ص94؛

Ferrrin, Emilo Gonzalez, Historia General de al-Andalus Terce Edition, Editorial Al-Muzara, Espana, 2009, P.412-419.

(25) ابن عذاري، البيان المغرب، ج3، 221-229؛ ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الاعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من كلام، تحقيق: سيد صلاح كسروي حسن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، 2003م، ج2، ص167-173.

(26) ينظر: البكري، المسالك والممالك، ج2، ص296؛ مؤلف مجهول، تاريخ الأندلس، ص127-130؛ عنان، نهاية الأندلس، ص257؛ طقوش، محمد سهيل، تاريخ المسلمين في الأندلس، ط3، دار النفائس للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، 2010م، ص474؛ داود، عصام كاطع وصفية سلمان عبد الحميد، السياسة الخارجية لدويلات الطوائف اتجاه الممالك الاسبانية (422-482هـ/1031-1089م)، مجلة دراسات تاريخية، جامعة البصرة، العدد 2، لسنة 2015م، ص72-74.

(27) المراكشي، المعجب، ص54-68؛ العامري، تاريخ بلد الأندلس، ص161-163؛ طقوش، تاريخ المسلمين في الأندلس، ص431-433.

(28) ابن الخطيب الغرناطي، أعمال الاعلام، ج2، ص223.

(29) الحميري، صفة جزيرة الأندلس، ص97 و98؛ ابن خلدون، العبر، ج4، ص163؛ المقري، نفح الطيب، ج6، ص228.

(30) عنان، الآثار الاندلسية، ص105.

(31) عبد البديع، لطفي، الإسلام في اسبانيا، بلا ط، دار الطباعة الحديثة، مصر، 1958م، ص186.

(32) المصدر نفسه، ص187.

(33) عنان الآثار الاندلسية، ص106؛ كاظم، ماهر صبري، رحلة في مدن وآثار الأندلس، ط1، مكتب المنار للطباعة، بغداد، 2019، ص68.

(34) عبد البديع، الإسلام في اسبانيا، ص187.

(35) ينظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص163؛ سالم، عبد العزيز، شباب الجماعة، مصر، 1986م، ص64.

(36) عنان، الآثار الاندلسية، ص108-111.

Zaragoza Andalusian city and its Islamic remnants

Prof. Dr. Maher sabri kadhim

kadhimmsk@yahoo.com

Al-Mustansiriya University /College of Arts

Key words: Middle ages, Alandalus, Zaragoza, Islamic monuments

Summary:

Zaragoza is one of the Andalusian cities located in the northeast of Andalusia (Spain today) as it has importance in Andalusian history, and it has Islamic monuments that remain to this day, the most important of which is the Al-Jaafari Palace.The researcher has divided that topic into four main topics, starting first: Al-Andalus from the Islamic conquest to the fall, in which the researcher clarified the meaning of the word Al-Andalus and a summary of the history of Al-Andalus from the Islamic conquest from the year (92AH./711AD.) until the fall and the end of Al-Andalus in the year (897AH./1492AD.) Briefly. While the second topic was entitled: The City of Zaragoza and its Geographical Location, explaining the geography of the city and its nature by mentioning the most famous historians in describing that historic city in the Islamic period. As for the third paragraph, it came under the title: The History of the City of Zaragoza in the Islamic Period, in which the researcher examined the political history of the city from the Islamic conquest of it, through the period of governors, the emirate, the caliphate, and sects until its fall and the departure of Muslims from it in the year (512AH./1118 AD.). As for the fourth and final titled: Archeology of the Islamic City of Zaragoza, which is represented by the Al-Jaafari Palace, where the researcher described that effect accurately by contemporary historians. The researcher

has relied on writing research on the descriptive-analytical method in the research folds. The researcher has relied on a number of original sources, including The History Book by Alsalsmi Alandalusy (D: 238 AH./852 AD.) and others. While the researcher relied on many modern references, the most important of which is a book: Andalusian Archeology and the End of Andalusia by Annan, and other books that the researcher employed and benefited from in documenting historical events. The Andalusian city of Zaragoza has witnessed many events in Islamic history, and it has suffered a lot from wars because it was in the face of the Spanish Christian kingdoms, the most famous of which is the Battle of Preacher. The city fell in the year (512 AH. / 1118AD.) and the most famous Andalusian Islamic landmark remained in it is the Al-Jafaria Palace, which is considered an architectural masterpiece in which Islamic inscriptions and Arabic writings tell of a great historical era.